

المحاضرة الثالثة:

كتابة الحديث في عصر الصحابة والتابعين

1- كتابة الحديث في عصر الصحابة

لقد بقي موضوع كتابة الحديث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم موضوع اختلاف بين الصحابة الكرام ، فمنهم من رأى منع الكتابة لبقاء علتها وهى الخوف من الانشغال بالحديث وكتابه عن القرآن الكريم وحفظه ، وكان هذا الاتجاه قوياً في صدر خلافة الراشدين ومن أصحاب هذا الرأي عمر بن الخطاب وأبو سعيد الخدرى وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم ، وذهب جمهور الصحابة إلى إباحة الكتابة لزوال المانع منها، ولم يعد الخوف من الاشتغال بغير القرآن قائماً ، ولذلك كتب كثير من الصحابة؛ بل ونقلت عنهم أقوال في الحث على الكتابة .

ومنهم أبو بكر الصديق الذي كتب لأنس بن مالك كتاباً فيه فرائض الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم¹. ومن الصحابة الذين كتبوا أيضاً؛ عمر بن الخطاب الذي كتب إلى عيينة بن فرقد في أذربيجان، وإلى أبي عبيدة في الشام، وإلى قضاته في العراق . وكتب عبدالله بن الزبير أيام حكمه إلى عتبه بن مسعود وكان قاض له ، وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية كثيراً من أحكام الشريعة .

كما كتب أنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكانت لأبي هريرة كتب كثيرة كما روى عمرو بن أمية أنه رأى كتباً كثيرة عند أبي هريرة². وهكذا نرى أن الصحابة الذين نقل عنهم المنع، قد تراجعوا وغيروا موقفهم وكتبوا وأوصوا بالكتابة حين أمن اللبس وعدمت علة الكراهة، وهذا ما أكده الخطيب البغدادي

¹ - السنن الكبرى للبيهقي 4 / 277

² - جامع بيان العلم لابن عبد البر 1 / 74 .

بقوله: "فلما أمن ذلك ودعت الحاجة إلى كتب العلم لم يكره كتبه....."³. واستقر الأمر على هذا زمن الصحابة .

2- كتابة الحديث في عهد التابعين :

إذا وقفنا على أقوال كبار التابعين ومواقفهم من التدوين، نجدها لا تختلف عن مواقف كبار الصحابة بادئ الأمر، فيتفقون معهم على كراهة الكتابة ما دامت الأسباب قائمة، ويميزونها ما انتفت تلك الأسباب. ومن منع ذلك عامر الشعبي ويونس بن عبيد وخالد الحذاء وغيرهم. ولكن جمهور التابعين على جواز الكتابة ومنهم عبد العزيز بن مروان الذي كتب إلى كثير بن مرة الحضرمي وكان قد أدرك سبعين بديراً: أن يكتب إليه مما سمع من أحاديث الصحابة إلا حديث أبي هريرة فإنه عندنا - وكتب مجاهد بن جبر المكي تلميذ ابن عباس وخالد بن معدان الكلاعي ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج الذي كتب عن أبي هريرة، وغيرهم كثير.

وقد توسع التابعون في خدمة السنة وتدوينها وحفظها، ويرجع سبب ذلك، إلى:

أ- انتشار الروايات، وطول الأسانيد، وكثرة أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم.
ب- موت كثير من حفاظ السنة من الصحابة وكبار التابعين فخيَّف بذهابهم أن يذهب كثير من السنة.

ج- ضعف ملكة الحفظ مع انتشار الكتابة بين الناس وكثرة العلوم المختلفة.

د- ظهور البدع والأهواء وفسوؤ الكذب، فحفاظاً على السنة وحمية لها من أن يدخل فيها ما ليس منها شرع في تدوينها.

هـ- زوال كثير من أسباب الكراهة.

وقد كتب في هذا العصر من الصحف ما يفوق الحصر، وقد ذكر الدكتور مصطفى

الأعظمي عدداً كبيراً منها وذلك في كتابه: "دراسات في الحديث النبوي"⁴.

³ - تقييد العلم: 93.

وأذكر لكم نماذج من تلك الصحف التي كتبت في هذا العصر:

- - صحيفة أو صحف سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس.
- - صحيفة بشير بن نهيك كتبها عن أبي هريرة وغيره.
- - صحف مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، قال أبو يحيى الكناسي: "كان مجاهد يصعد بي إلى غرفته فيخرج إليّ كتبه فأنسخ منها".
- - صحيفة أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي تلميذ جابر بن عبد الله، يروي نسخة عنه وعن غيره أيضاً.
- - صحيفة زيد بن أبي أنيسة الرهاوي.
- - صحيفة أبي قلابة التي أوصى بها عند موته لأيوب السخيتاني.
- - صحيفة أيوب بن أبي تميمة السخيتاني.
- - صحيفة هشام بن عروة بن الزبير.

وغير ذلك من الصحف الكثيرة التي رويت عن التابعين، والتي كانت هي الأساس الثاني بعد صحائف الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - لما أُلّف وصُنّف في القرنين الثاني والثالث⁵.

3- التدوين الرسمي:

إذا كان التدوين الرسمي لم يتم في عهد الصحابة وطيلة القرن الأول الهجري فما أن أشرف هذا القرن الأول عن نهايته حتى توفرت كل الدواعي لكي يكون هناك تدوين للحديث، فقد جاء في صحيح البخاري في كتاب العلم: "أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإنني

⁴ - دراسات في الحديث النبوي 1/ 143-220

⁵ - تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، مطر

الزهراني، ص: 84.

خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم،
ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً".
وقد أمر عمر بن عبد العزيز أبابكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن يكتب له العلم أى
الحديث من عند عمرة بنت عبد الرحمن، والقاسم بن محمد بن أبي بكر فكتب له .
وروى الدارمي بسنده أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل المدينة: "انظروا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب أهله"
ومن كتب إليهم عمر بن عبد العزيز ابن شهاب الزهري؛ الذي يعتبر أول من دون
الحديث، حيث قال: "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى
كل أرضٍ له عليها سلطان دفتراً".⁶

وكانت محاولة الزهري رحمه الله تمهيدا لمن جاء بعده.

والأمر الذي دفع عمر بن عبد العزيز لهذا العمل هو :

- صيانة الحديث بعد أن اتسعت الرواية ، من أن يختلط الصحيح بالموضوع ، ويروى
عن ابن شهاب الزهري أنه قال : ((لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ، ننكرها ولا
نعرفها ، ما كتبت حديثاً ، ولا أذنت في كتابته))⁷.

- الخوف على الحديث من الضياع بموت علمائه من الصحابة وكبار التابعين، وقد ورد
هذا الهدف في كلام عمر بن عبد العزيز لأهل المدينة كما أشرت آنفاً.

ثانياً: التدوين في القرن الثاني الهجري

- ذكر الدكتور مطر الزهراني رحمه الله أن هذا العصر يشمل صغار التابعين، وأتباع
التابعين:

⁶ - سنن الدارمي 1 / 104

⁷ - جامع بيان العلم وفضله 1 / 76.

⁸ - تقييد العلم 107-108

- الجيل الأول: صغار التابعين إذ تأخرت وفاة بعضهم إلى ما بعد سنة (140 هـ)، وتصنف جهودهم في التدوين ضمن جهود جيل التابعين إلى منتصف القرن الثاني الهجري، وقد كانت جهودهم في عمومها مجرد جمع للأحاديث من غير تبويب أو ترتيب معين.

أما الجيل الثاني: فهم أتباع التابعين، الذين كان لهم الأثر الرائد في التصدي لأصحاب البدع والأهواء، ومقاومة الكذب الذى فشى في هذا العصر على أيدي الزنادقة الذين بلغوا ذروة نشاطهم ضد السنة ورواتها في منتصف هذا القرن، وعلى أيديهم بدأ التدوين الشامل المبوب المرتب على الأبواب والفصول، كذلك كانت لهذا الجيل الريادة في ابتداء التصنيف في علم الرجال.

أ- سمات التدوين في هذا القرن:

- ظهور التفريق بين التدوين الذي هو مجرد الجمع، وبين التصنيف الذي هو الترتيب والتبويب والتمييز في المصنفات في هذا القرن.
- - أن هذه المصنفات المدونة في هذا العصر قد جمعت إلى جانب أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أقوال الصحابة وفتاوى التابعين، بعد أن كانت تتناقل مشافهة؛ وكانت الصحف فيما مضى تقتصر على الأحاديث النبوية فقط.
- - طريقة التدوين في مصنفات هذا القرن هي: جمع الأحاديث المتناسبة في باب واحد ثم يجمع جملة من الأبواب أو الكتب في مصنف واحد، بينما كان التدوين في القرن الماضي مجرد جمع الأحاديث في الصحف بدون ترتيب أو تمييز.
- - إن مادة المصنفات في هذا القرن قد جمعت من الصحف والكراريس التي دونت في عصر الصحابة والتابعين، ومما نقل مشافهة من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

وقد حملت مصنفات علماء القرن الثاني عناوين: موطأ - مصنف - جامع - سنن، وبعضها كان بعناوين خاصة مثل: الجهاد - الزهد - المغازي والسير⁹.

ب- أشهر المصنفين في هذا القرن:

ظهر في هذا القرن ترتيب وتدوين الأحاديث وجمع الشتات في ديوان واحد. فظهر التأليف في الحجاز واليمن والعراق، ومصر والشام. وأشهر المصنفين في هذه المرحلة، هم:

1- عبد الملك بن جريج (ت: 150 هـ) بمكة، قال عبد الرزاق: " أول من صنف ابن جريج".

2- سعيد بن أبي عروبة في البصرة (ت: 156)، قال الإمام الذهبي (عالم أهل البصرة) وَأَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ السُّنَنَ النَّبَوِيَّةَ¹⁰، ألف كتاباً في الطلاق.

3- محمد بن أبي ذئب (ت 158 هـ). عالم أهل المدينة وإمامهم، ألف كتاب الموطأ مثل موطأ مالك ويسمى بالسنن.

4- عبد الرحمن بن عمرو والأوزاعي (156 هـ). وهو تلميذ الزهري فقيه الشام جمع الأحاديث في كتابه السنن.

5- معمر بن راشد فقيه اليمن وتلميذ الزهري (153) ألف كتابه الجامع وضمنه عبد الرزاق الصنعاني في آخر كتابه المصنف.

6- الربيع بن صبيح البصري_ (160 هـ)، بالبصرة.

7- شعبة بن الحجاج (160) بالبصرة.

8- سفيان الثوري (ت: 161) في الكوفة، ألف كتاب الجامع الصغير و الجامع الكبير.

⁹ - بحوث في تاريخ السنة المشرفة لأكرم ضياء العمري، ص: 234، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من

القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، مطر الزهراني، ص: 87-90.

¹⁰ - سير أعلام النبلاء: 6/ 468.

- 9- حماد بن سلمة (160) ألف كتابه المصنف.
- 10- الليث بن سعد (175) بمصر، وهو إمام حجة كثير التصانيف .
- 11- مالك بن أنس (179) بالمدينة ، حيث صنف "الموطأ" و "توخي فيه القوي من حديث أهل الحجاز".
- 12- عبد الله بن المبارك "ت181هـ" بخراسان.
- 13- هشيم بن بشير "ت188هـ" بواسط.
- 14- جرير بن عبد الحميد الضبي "ت188هـ" بالري.
- 15- عبد الله بن وهب "ت197هـ" في جامعة.
- 16- سفيان بن عيينة "ت198هـ" بمكة.
- 17- وكيع بن الجراح الرؤاسي 5 "ت197هـ"، وغيرهم كثير.